
أدبيات
نبع الآداب والثقافة المعاصرة
سلسلة
مقالات
1
www.Rewayat2.com
دماغي كده!
(4) فى العلم الزائف
د. أحمد خالد توفيق

دماغى كده

فى العلم الزائف

Rewayat2.com

عن طب الأعشاب الذى خرب بيتنا

أطالب بتسجيل مرض جديد اكتشفه العبد لله وأطلق عليه اسم (فيلوفوبيا) ، ومعناه كما هو واضح (النفور من العلم) أو (كراهية العلم) .. هذا الداء متوطن فى العالم العربى بالذات؛ إذ يبدو أن العقل العربى بينه وبين المنطق العلمى علاقة من الكراهية المتبادلة . وأوضح نموذج لذلك هو ذلك الفتى الذى يقف جوار كل مسجد تقريبًا ، وقد نشر على الأرض ملاءة عليها عدة أكياس تحوى أشياء لا تعرف هل هى عيون مقلوعة أم صراصير مجذومة ، وقد كتب بخط واضح بطاقة تحت كل كيس (للبواسير) .. (لارتفاع الضغط) .. (للعجز الجنسى) .. أما لماذا يقف جوار المسجد فإجابته سهلة .. ليوحى بأن نشاطه ذو طابع دينى ، وأن من يعترض عليه علمانى عدم المؤاخذة . أما كيف يعالج كل هذه الأمراض فهى دعوى قديمة قدم شربة الحاج (بيومى) .. أتذكر مشهدًا كوميديًا فى فيلم لسمير غانم ، إذ دخل إلى حانة فطلب من الساقى كأس كونياك .. صب له الساقى من برميل على المنضدة كأسًا .. طيب كاس نبيت .. فتح الساقى نفس الصنبور وصب له كأسًا .. هنا يدخل الحانة صبى يحمل (وابور جاز) ويقول للساقى : أمى بتقولك املا لنا الوابور ده .. هكذا يمد الساقى يده ليفتح الصنبور ويملأ الوابور أمام نظرات سمير غانم المذهولة !..

الغريب أن هذه الأشياء الغامضة الملفوفة فى أكياس تباع كالكعك الساخن .. لا أحد يعرف ما هى ولا اسم المادة الفعالة فيها .. لكنها تباع ..

ليست الأعشاب لعبة .. هناك فى كل مرجع صيدلة باب اسمه (السموم النباتية) .. فطر (أمانيتا فلويدس) يسبب فشلاً حادًا للكبد ..

أى أن المريض يموت بغيبوبة كبدية خلال ساعات أو أيام .. كنا نقـرأ عـن مرض انسداد أوردة الكبد veno-occlusive disease ونحسبه بعيـدًا عنـا ، ثم تبين أن (الجعضيض) و(الرجلة) تؤدى هـذا الـدور بنجاح تـام .. أليست هذه نباتات وبالتالى طبيعية ومفيدة ؟.. سيقولون لك إن كـل دواء جاء من أصل نباتى .. خذ عندك الأتروبـين والديجيتالا والأسبيرين و ... نعم .. لكنها أدوية جربت وعرف تركيبها ولم تخرج إلى التسويق إلا بعـد حرب علمية بالمعنى الدقيق للكلمة.

ذكرت شبكة BBC التالى عن انتشار العـلاج بالأعشـاب الصينيـة فى بريطانيا : « تتمحور المشاكل حول عقاقير وأدوية تتضمن مـادة أريستولوتشيا ، وهى مادة عشبية سمية تؤثر بدرجة رئيسية على الكلى ، كمـا يشتبه فى كونها مادة مسببة للسرطان أيضا ، كما كشفت الوكالة البريطانية وجـود مواد سمية ثقيلة مثل الزئبق والزرنيـخ فـى عـدد مـن الوصفـات العشبية ، ويعترف رئيس الجمعية الأوروبية لممارسى طب الأعشـاب مـايكل ماكنتاير بأن هذا القطاع لا يخضع إلى أى رقابة أو تنظيم ، حتى وإن كان ذاتيًا ، ويقول إن بإمكان أى شخص الادعاء بأنه يفقه فى طب الأعشاب . ويعـرف عـن العلاج بالأعشاب إنه لا يخضع لنفس الرقابـة والاختبـارات الصارمـة التى تخضع لها المنتجات الصيدلانية الخارجة من المختبرات العلمية .. »

والقصة دائمًا هكذا : رجـل ذكـى ليـس طبيبًـا بـالضرورة يتبنـى طـب الأعشاب .. يفتتح لنفسه مركزًا ويتخذ سمت الرجل الـورع الـذى جـاء (ليوقف كل واحد عند حده) .. له صلات خليجية قويـة ولـه علاقـات بأكثر من شركة أدوية عملاقة .. وهو عالى الصوت ضخـم الجثـة مستعد فى أية لحظة ليخرس معارضيه ويتهمهم بالكفر لو لزم الأمر .. وفى النهاية

لا يجرؤ المريض على الاعتراف بأن طب الأعشاب خذله .. يا فندم أكيد إحنا إللى ما بنعرفش نعيا ..

تأمل ما يقوله أحد هؤلاء المعالجين عن نفسه على شبكة الإنترنت : « السكرى : يعالج بتركيبة مكونة من 30 نوعًا من الأعشاب ومدة العلاج 11 يومًا . الضغط : تركيبة مكونة من 3 أنواع من الأعشاب ومدة العلاج أسبوع واحد . الصداع النصفى : نوع واحد من الأعشاب ومدة العلاج أسبوع واحد . الشلل النصفى : بفضل الله تعالى أستطيع أن أعالجه خلال ساعتين فقط بعمل لخبة من أعشاب توضع على المكان المشلول . كذلك الإيدز خلال مدة 6 أشهر ، وعلاج حامل المرض فى حوالى 4 أشهر . أما السرطان المرض الخبيث فهناك عشب ينمو اسمه الخبيث ، إذ فالخبيث للخبيث ، لمدة 91 يوم لسرطان الدم ، 21 يوم لسرطان الرئة والمثانة ، و10 أشهر لسرطان العظام ... »

شوف الدقة يا أخى !.. واحد وتسعون يومًا لسرطان الدم .. ليست تسعين يومًا لأننا لا نلعب هنا .. الإيدز يعالج خلال ستة أشهر .. الشلل النصفى خلال ساعتين .. إذن لا تخف يا أخى عندما تصاب بالفالج من الغيظ وأنت تقرأ هذا الكلام .. فعلاجك موجود ولا يستغرق إلا ساعتين ..

نحن لا نعرف كم من مليارات حققتها الشركات من الترويج لمنتجاتها التى تعيد تعبئة حبة البركة والثوم (ولماذا لا يستعملهما المرضى مباشرة دون تعبئة؟) كبديل عن الطب المجرب الموثق علميًا ، مع إضفاء هالة شبه دينية على الأمر تهدد باتهامك بالكفر لو اعترضت .. ربما كان الثوم رائعًا .. بالفعل هو كذلك .. ولكن الأمور ليست لعبة .. لابد من مرور الدواء بمراحل شاقة (أربعة أطوار) قبل أن يقال إنه فعال . لكن الوضع الحالى

هو أن كـل من يسكن فى بيت ريفى لديه فى أرضـه نبتة سحرية لا يعرف اسمها ولا خواصهـا .. لكنـه مؤمـن بأنهـا تشفى القلـب أو السكرى أو السرطان لو قام بغليها وشرب النقيع مرتين يوميًا .

المهم أن تهـرب مـن قبضـة العلـم الصارمـة .. المهـم ألا تجرب الـدواء العلمى الدقيق الذى تم اختباره .. يظل يغلى ورق النبق ويشربه (أصلـه طبيعى مش كيماوى) ليعالج مرض السكرى ، برغـم أن دواء السكرى معروف ورخيص الثمن نسبيًا .. يظل يفعل هذا إلى أن يموت ..

هذه النزعة الفيلوفوبيا تتبدى فى كل شىء .. هنـاك دواء اشتهر فى علاج التهاب الكبد (سى) .. انقسم الأطباء بصدده إلى فسطاطين على رأى الشيخ ابن لادن .. من يرى أنه كلام فارغ ومن يرى أنه رائع .. إذا أجريت تجاربك وبرهنت على أنه كلام فارغ وجـدت مـن يلكـزك ويغمز بعينه : إنه دواء رائع لكن شركات الأدوية العملاقة عابرة القارات يهمهـا أن يفشل كى تروج لعقار (الإنترفيرون) باهظ الثمن .. طيـب يـا جماعـة مش جايز هو فشل لأنه عقار فاشل ؟.. عندها يضحكـون ولسـان حـالهم يقول : رب اغفر له فإنه لا يعلم..

أما عن الأساليب البديلة لعـلاج الفيروس سى فحـدث بـلا حـرج .. رأيت تجربة علاج هذا الداء بالحمام .. الطريقة التى سببت ارتفـاع أسعار الحمام فى مصر كلها .. ثم تـرى التجربـة فتجد أن الرجـل يضغـط على الحمامة ضغطًا مدروسًا الغرض منـه إزهـاق روحهـا وهـى تتعـذب .. يتم تشريح الحمامة فتجدها ممزقة الأحشاء مهشمة الأضلع كـأن قطارًا مر فوقها .. لكنهم يؤكدون فى ثقة أن سبب موتهـا هـو امتصاصهـا للفيروس ..

عيادات الأوزون وعيادات الأشعة فوق الحمراء وتحت البنفسجية كومت الملايين من الجنيهات .. دعك من أولئك الذين يضعون المرضى تحت هرم .. وتفتح فمك لتتكلم فيخرسونك بورقة علمية صربية أوكرواتية تؤكد أن الأوزون رائع .. ومن قال إن الصربيين ليسوا نصابين ؟

لكن هل فيروس سي له وجود أصلاً ؟.. قرأت ذات مرة للأستاذ أحمد رجب فى عموده الفهامة مقالاً ينقل فيه كلمات من وصفه بأنه (صاحب نظرية المناعة العربية) ـ الله تعالى أعلم بمعنى هذا ـ والذى يلقى قنبلته : « الفيروس سى لا وجود له .. بل هو خرافة أطلقتها الشركات الأمريكية لترويج لمنتجاتها ! » . يا سلام !.. بعد اكتشاف فيروس التهاب الكبد سى بنحو خمسة عشر عامًا ومعرفة كل شيء عن تركيبه الجزيئى ، وبعد ما عقد ألف مؤتمر بلا مبالغة تناقش كل شاردة وواردة عن الفيروس وابتكار لقاح له وأفضل طرق علاجه ، وبعد ما كرس علماء مصريون أجلاء بينهم أسماء ليست أقل من عبد الرحمن الزيادى وياسين عبد الغفار وحلمى أباظة حياتهم من أجله ، يلقى علينا الدكتور بقنبلته المدوية : لا يوجد فيروس سى بل هى مؤامرة أمريكية قذرة .. طيب نصدق الذين يؤمنون بأن الحمام والأعشاب تقتل الفيروس سي أم نصدق الذين يؤمنون أنه لا يوجد فيروس أصلاً ؟

المشكلة أن من يشكك اليوم فى الفيروس سى هو كمن يشكك فى وجود الأفيال !.. تخيل أن يأتى اليوم من يقول : الأفيال لا وجود لها يا جماعة بل هى خدعة قذرة ابتكرتها حدائق الحيوان !.. بالضبط نفس وزن الفضيحة والخبال والإصرار على الخطأ .. وهذا الطراز من المقولات لا يجد طريقه أبدًا إلى المجلات الطبية ، ولكن يجد طريقه إلى الصحافة غير المتخصصة

لأسباب واضحة ، وأنا ألقى باللوم كله على هذا الطراز مما يطلقون عليه (طب المصاطب) حيث لا تجريب ولا توثيق ولا دراسات إحصائية ولا شيء .. مجرد كلام يلقى على عواهنه من عقول أغشتها أبخرة نظريات المؤامرة ، والرغبة فى الشهرة بأى شكل.

تذكرت طبيبًا آخر أفردت له جريدة الشعب صفحة كاملة منذ أعوام ليلقى بقنبلته : لا يوجد مرض إيدز .. . أمريكا هى التى اخترعت هذا الوهم لتساعد على نشر الشذوذ الجنسى !.. وتأمل معى المنطق المختل برغم أننا نزعم أننا العرب سادة المنطق : أمريكا تريد ترويج الشذوذ الجنسى لهذا لفقت مرضًا وأعلنت أنه ينتقل بالشذوذ الجنسى !.. والكارثة أنه يشغل منصبًا مهمًا فى مكافحة الأمراض المعدية بوزارة الصحة !

قبل هذا بأعوام زعم أستاذ شهير أنه ذهب إلى كينشاسا شهرين فقط اكتشف خلالهما علاج الإيدز ثم عاد !.. فى تلك الفترة تبناه كتاب كثيرون .. بعد أعوام رأينا صورة هذا الطبيب فى الصحف العالمية الفرنسية ، ليس لتمجيده ولكن كنموذج لأدعياء الطب فى العالم الثالث ، وقد كتب إبراهيم سعدة مقالاً كاملاً عن هذه الفضيحة .. إنها الفيلوفوبيا يا سادة ..

فى بعض الوصفات الطبية الشائعة تجد طريقة فعالة لعلاج العقم عند الرجال عن طريق تجفيف ذكر الذئب ، وابتلاع مقدار حبة منه يوميًا !.. هل هذا طب ؟.. إنها من وصفات الأطباء السحرة البدائيين ، وعلاج الجزء بجزء مثله أسلوب معروف فى ممارسات السحر منذ القدم .. أى أن هذه الوصفة لا تمت للدين بل تمت لحقبة (السحر كدين) .. لكن هناك من لا يقبلون عن هذا الكلام بديلاً ..

لقد ظل الناس يؤمنون بما قاله أرسطو قرونًا عديدة : عدد أسنان المرأة أقل من عدد أسنان الرجل . هكذا أصدر فتواه وهو جالس على مصطبته الإغريقية ، ولم يكلف خاطره بأن ينادى الولية من المطبخ ليعد أسنانها .. وظل الناس يتناقلون هذه المعلومة إلى أن جاء رجل وقح اسمه فيساليوس وعد أسنان الرجل وأسنان المرأة وألقى قنبلته : العدد واحد فى الجنسين .. المذهل أننا ما زلنا نعيش جو أرسطو ونقاوم كى نظل فيه ..

والنتيجة واضحة الآن .. بوسع أى جندى أمريكى أن يجلس مسترخيًا أمام جهاز وفى يده علبة الكولا .. وربما يصغى لموسيقا الروك كذلك .. ضغط زرًا فتزول مدينة عربية عن الخارطة بكل من فيها من عباقرة يصرون على غلى أوراق النبق لعلاج السكر بدلاً من ابتلاع قرصين من (الجليبكلازيد) ..

إنهم مستمرون

إنهم مستمرون! .. . أكتب هذه الكلمات في غرفة مغلقة ، وبرغم هذا يتسلل دخان قش الارز اللعين إلى كل ركن فلو خرجت إلى الشرفة لأصابك الهلع . نعم يا سادة .. محافظة الغربية أيضًا تعانى من حرق قش الأرز لكن أحدًا لا يتكلم عنها ، فهى مجرد محطة استعداد وتدريب كى يصير محافظها محافظ الجيزة لا أكثر .. عندها تبدأ مشاكله مع تلك المحافظة عالية الصوت . أحمد الله على أننى لست مصابًا بالربو وإلا لقضيت نحبى منذ أسبوع . أما مرضى الربو فلهم الله .. إن المستشفيات تعج بهم . فى أوائل السبعينات ظهرت تقليعة فى طوكيو حيث معدلات التلوث الأعلى هى زجاجة بها أكسجين نقى تشتريها من البائع لتشم الهواء بضع دقائق . أى أنك تقف هناك مع أصدقائك وترش رشة أكسجين جريئة . يبدو أن هذه الظاهرة ستبدأ عندنا وعندها تكون مصر أول دولة تبيع الهواء فى زجاجات فعلاً ، ولسوف يصير شراء الهواء من البقال جزءًا من نشاطك اليومى . فى عصر الاهتمام بالبيئة وكل هذه المؤتمرات واللافتات فى كل مكان تنذرنى بخراب بيتى لو أشعلت لفافة تبغ ، يتساءل المرء عما إذا كان دخان حرق الأرز هذا أكثر أمنًا وتحضرًا من السجائر فعلاً .

فى الكتب التى تتكلم عن علامات الساعة تجد علامة الضباب الأبيض الذى يتسلل للبيوت فيعمى العيون ، ويختنق به الكفار والعصاة أما المؤمنون فلا يلاحظونه . سوف تزعم الحكومة إذن أنه لا يوجد ضباب ولا حاجة ، وأنها تشك فى إيماننا .. لا عجب ، فهؤلاء القوم مستمرون للأبد ولن يعوقهم شىء ..

وسط هذا الجو الخانق الكئيب تشعر بأنه لا لزوم للماضى ولا جدوى من الغد، وأن الموت هو الحل الوحيد أمامك، لكنك تعرف أنهم لن يتركوك فى سلام .. سيفتحون القبر ويدفنون فوقك واحدًا من قيادات المجالس المحلية أو الحزب الوطنى .. لا غرابة فهم مستمرون.

مع كل هذه الكآبة والقرف، تفتح البريد الالكترونى لتجد هذا الخبر العظيم الذى تم توزيعه على 58468 عنوانًا على الأقل: « طبيب سودانى بإنجلترا يكتشف علاجاً لمرض السكرى وداء الصرع ! العقار الجديد يقضى على السكرى نهائيًا خلال 2 ـ 6 أشهر فقط !! »

السكرى والصرع معًا ؟.. نهائيًا ؟.. مش واسعة شوية ؟.. كأن هذا كان ينقصك !.. ثم منذ متى يمكن علاج السكرى نهائيًا ؟.. أفضل الحلول الموجودة قائمة على تعويض الهرمون .. يعنى العلاج مدى الحياة .. تقرأ الخبر بعناية فتجد أن طبيبًا سودانيًا يدعى (طارق أرباب) بمستشفى همر سميث التابع لكلية الطب جامعة لندن، نجح فى اختراع أول عقار فى العالم لعلاج مرض السكرى بصورة نهائية، وحصل على براءة اختراع من كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية اللتين سجل بهما الاختراع تحت الرقم (4065834). الحوار مع هذا الطبيب الظاهرة يقول إنه اكتشف أن إنزيم الأميليز يحول النشا إلى سكر، وهذا يمكن إثباته عن طريق اليود !.. هذه التجربة يعرفها كل طالب ابتدائى على كل حال. استطاع أرباب تحويل الأميليز إلى عقار شاف (نهائيًا) للسكر. يقول إن مرضى السكرى يعانون من نقص فى المادة اللعابية التى تهضم السكر والنشا. لا أريد أن أبدو متعصبًا وغراب بين، لكننى عدت إلى العلامات المؤكدة على العلم الزائف التى وضعها روبرت بارك أستاذ الفيزياء بجامعة ميريلاند صاحب كتاب (علم الفودوو: الطريق من الحماقة إلى الخديعة) وهو كتاب شهير جدًا:

العلامة الأولى : المكتشف يقدم إدعاءاتـه لوسائل الإعلام مباشرة : العلم يعتمد على أن يقدم العالم أفكاره الجديدة لتدقيق العلماء الآخرين ؛ إذ يتوقع العلماء أن يقدم زملاؤهم الأفكار لهم أولاً . بالفعل تجد أن الأخ أرباب يقدم بحثه لمجلة سودانية شهيرة ، لكنك لا تجد شيئًا عن أبحاثه فى أية مجلة طبية . لقد زعم أن المجلة الطبية البريطانية BMJ قبلت بحثه لكن هذا لم يحدث كما سنرى حالاً .

العلامة الثانية : المكتشف يقول إن المؤسسات الكبرى تحاول حجب عمله : هذا الباحث يؤكد أنه سجل اختراعه فى الولايات المتحدة خشية من أن تسرقه الشركات الكبرى .

العلامة الثالثة : المكتشف أجرى أبحاثه وحده : صورة العالم العبقرى الذى يسهر الليل وحده فى قبو هى صورة تناسب أفلام هوليوود للخيال العلمى ، لكن لا يمكن أن تتحقق فى الواقع .

العلامة الرابعة : المكتشف مضطر لأن يصمم قوانين طبيعة جديدة يفسر بها الظاهرة : يلقى العالم ذنب انتشار السكرى على تغيير المواد الغذائية ، وتخزين الغذاء لفترات طويلة فى الثلاجات ، واستخدام المواد الكيمائية فى الحفاظ على المواد الغذائية . ويقول إن الدقيق صعب الهضم ، و إذا لم يُهضم يترسب فى الأنسجة والشرايين الدقيقة والكبيرة داخل الجسم ، فيكون الشخص عرضة لأمراض القلب والفشل الكلوى وأمراض الدماغ بالاضافة الى السكرى . وهذا يمكن حله بإضافة بعض كربونات الصوديوم التى تحلل الدقيق فى الجسم لأجزاء صغيرة . ما هذا الكلام ؟.. يبدو مهمًا منطقيًا لكنه ليس كذلك ، ولن يرضى أى كيميائى حيوى عن هذا الكلام الفارغ ..

وبنفس المنطق الغريب يقول أرباب : البحوث المعملية الحديثة أثبتت أن هناك علاقة شبه قوية بين ضيق الشرايين الذى يصيب القلب ومرض الصرع الذى يحدث نتيجة ضيق فى شرايين الدماغ ، وليس نتيجة شحنات كهربائية فى الدماغ كما كان يعتقد فى السابق . ولذلك بعد الاكتشاف الجديد لحقيقة مرض الصرع ، ابتكرت عملية جراحية جديدة لمعالجة الصرع تعتمد على توسيع شرايين الدم داخل الدماغ ! . أى طبيب يعرف أن هذا كلام عجيب ..

هكذا وجدت أن هذا العالم حقق أربعًا من آيات العلم الزائف من سبع وضعها (بارك) . على أننى قررت أن أبحث عن اسمه أكثر فى الإنترنت ، فوجدت موقعًا سودانيًا محترمًا عقلانيًا يذكر هذه الحقائق :

1 ـ اتصلوا بمستشفى هامر سميث يسألون عن (أرباب) هذا فكان الرد أنه لا يوجد أحد بهذا الاسم عندهم !.. ثم تذكروا فى خطاب آخر أن هناك واحدًا لكنه يعمل بعقد شرفى وهو على الأرجح ممارس عام .

2 ـ رقم براءة الاختراع المذكورة هى لـ (أستيك ساعة) ! لا أعتقد أنها الطريقة المثلى لعلاج السكرى والصرع .

3 ـ المجلة الطبية البريطانية لم تنشر أى بحث لطبيب اسمه أرباب .

أنهيت قراءة هذه المعلومات ، وفتحت النافذة لأستنشق المزيد من السحابة السوداء التى لم تعد بهذا السوء .. هؤلاء القوم مستمرون .. مستمرون .. نفس الأكاذيب والادعاءات والتلفيق .. لا ألوم المجلة لحظة ؛ فمن أين يعرف غير المتخصص الحقيقة وسط هذا الكلام الكبير كله ؟.. وقد رأينا جريدة الشعب عندنا تقع فى ذات الخطأ ، ورأينا أخبار اليوم وغيرها ..

كنت أعتقد أن الإخوة السودانيين أفلتوا من معظم تلك الأمراض المصرية لكن اتضح أن هذا داء عربى أصيل كما يبدو . لقاءات صحفية وأمل زائف لمرضى الصرع والسكرى ومنطق مغلوط ، وهذا الرجل يعرف أنه يكذب .. ولو لم يكن يعرف أنه يكذب فهو مخبول تمامًا . المهم أننا نستحق ما يحدث لنا .. نستحق السحابة السوداء ونستحق حكوماتنا بالتأكيد ، فلا أمل فى الخلاص ما لم نتغير أولاً .

هؤلاء النصابون الكبار وابتكاراتهم العبقرية

- 1 -

أخيرًا شاهدت حلقات البرنامج الأمريكى (هراء) الذى أرسل لى صديقى الكويتى حلقات موسم كامل منه .. (هراء) أو (فضلات ثيران) هى الترجمة المهذبة لاسم البرنامج البذيء ، والذى يقدمه اثنان من المشعوذين الظرفاء سليطى اللسان هما (بن) و(ستيلر) اللذان قررا أن يكرسا حياتهما لمحاربة الخرافة والسخف والنصب .. نفس الدور الذى لعبه منذ مائة عام مشعوذ آخر هو (هودينى) على أساس إن (حبل على حبل مايبرمش) كما يقولون عندنا ..

الحلقة التى استلفتت نظرى تدور عن الطب البديل .. يمكننى اليوم أن استعمل الكلمة بحرية بعد ما فضل د. (محمد المخزنجى) استعمال لفظة (الطب المكمل) .. منذ البداية يقول مقدم الحلقة فى استمتاع : « نحن نبحث عن الهراء .. وما دمنا نتكلم عن الطب البديل فالمشكلة هى : من أين نبدأ ؟ »

ويأخذك البرنامج فى رحلة ممتعة بين هذا النصاب الذى يجوب الولايات المتحدة بشاحنة ، ويقوم بتدليك القدمين بجهاز يحدث ذبذبة معينة تدغدغ القدم ، ويتقاضى 55 دولارًا فى الساعة .. يطلقون على هذا النوع من العلاج اسم reflexology ويقضى بأن كل أعضاء الجسم لها جزء يمثلها فى القدم .. ثم يأخذك البرنامج إلى المعالجين بالمغناطيس .. هناك مغناطيس لكل عضو من أعضاء جسدك ، والفكرة هى تصحيح مغناطيسية جسمك المختلة .. يؤكد الدكتور المتحمس لهذه الطريقة

وكلهم يحملون لقب دكتور على فكرة أن رسم المخ الكهربى أظهر انخفاض معدلات التوتر لدى من عولجوا بهذه الطريقة .. هنا يذكرنا البرنامج بأن رسام المخ الكهربى لا دور له فى قياس التوتر .. ويعلق أحد أساتذة الأمراض العصبية أن أجسامنا لا تعمل بهذه الكيفية ولا دور للمغناطيس فيها .. هناك جو علمى مهيب حول الموضوع لكن الحقيقة هى أنه مجرد هراء ..

بعد هذا نرى الـ **Chiropractor** وهو نصاب آخر يعالج بفلسفة تقوم على أن كل الأمراض تنجم عن ارتخاء الفقرات . لهذا يمارس هذه العملية التى هى أقرب للتدليك العنيف جدًا .. يعترف الرجل الذى يزعم أنه حاصل على الدكتوراه بأنه أجرى هذه العملية العنيفة على طفل عمره شهر واحد ليعالجه من الإكزيما..!

هكذا ينتقل البرنامج من هراء لآخر ، وفى النهاية يلتقى بعالم كتب عن هؤلاء النصابين كتابًا اسمه (الفودوو العلمى) . يقول هذا العالم إن الأمر كله يعتمد على الإيحاء ورغبة الشفاء لدى المريض .. ثم يصف كل هذا الذى يحدث بعبارة قاسية هى : "إنه مجرد استمناء فكرى ! » .

نترك هذا البرنامج الشائق ونثب إلى مصر التى تفشى فيها سرطان الطب البديل .. قد يطيب للنفس أن تتأسى بحقيقة أن هذا النصب يجرى فى أكثر دول العالم تقدمًا ، لكننا نقول إن هناك فارقين مهمين بيننا وبينهم .. الفارق الأول هو أن طريقتهم العلمية صارمة وثابتة .. يستعملون المقاييس التى وضعها كانط وديكارت وليسوا على استعداد للتخلى عنها .. لن تتكلم مجلة طبية محترمة عن العلاج بالمغناطيس ، ولو تكلمت لقامت بإجراء دراسة مقارنة مع مجموعة ضابطة تخضعها لعلم الإحصاء الذى

لا يكذب .. هكذا يظل الخط واضحًا بين ما هو علم وما هو علم زائف ، بينما عندنا يطرد العلم الزائف العلم الحقيقى ، ولم يعد من الغريب أن يطلب منك المريض ألا تكتب له علاج السكر لأن معالجه نصحه بعدم تعاطيه !.. هناك أطباء يبيعون الأعشاب فى عياداتهم أو خلائط غريبة من مساحيق ركبوها بأنفسهم .. عرفت طبيبًا ظل يعالج سرطان المستقيم بأن يسكب فوقه العسل الأبيض يوميًا ، وبعد ما مات المريض كان رأيه هو أن العسل (مش قطفة أولى) ..

الفارق الثانى هو أنهم لم يربطوا هذا النوع من الطب بالدين ، وبهذا لم يضعوا درعًا واقيًا حول إدعاءاتهم يصعب أن تخترقه ... عندما يبتكر طبيب مصرى نوعًا من قطرات العين مستخلصًا من العرق ، ويزعم أنه يعالج المياه البيضاء لأن قميص سيدنا يوسف أعاد البصر لأبيه ، فإنه قد ضمن رواج المنتج أولاً ، ووضع حول نفسه سياجًا منيعًا ثانيًا .. من يخترق هذا السياج ليتشكك ، يبدُ أمام الناس كأنه يعارض صحيح الدين ، برغم أن ما حدث من عودة بصر الكفيف معجزة إلهية ، وإنكار قدرة العرق على شفاء المياه البيضاء لا علاقة له بالدين .

برغم الطابع المحلى القوى للعلم البديل ، فإن رأيى الخاص هو أن ما حدث فى الأعوام الأخيرة نصر آخر للعولمة .. ربما تم هذا شعوريًا أو لا شعوريًا ، لكن هناك من الأذكياء من درس تجارب نصابى الغرب وعرف كيف يصنع قرشين منها .. هكذا بدأت ظواهر المعالجين الروحيين تتسرب لنا .. تسرب لنا الكثير من الطب البديل .. برامج مريم نور التى تمزج الشامانية بالمانوية باليوجا فى خليط واحد خلاب ... ظاهرة الداعية التلفزيونى الوسيم الأنيق .. أليست تكرارًا لظاهرة الواعظ النجم

البروتستانتى فى الغرب ؟ ، بينما تراجعت مكانة رجل الدين العالم الأزهرى الذى يعرف ما يتكلم عنه حقًا .. حتى الطريقة (الكارنيجية) فى الوصول للثروة والنجاح فى الحياة وجدت من يتلقفها عندنا ..

ثمة سمة عامة تجمع هؤلاء جميعًا .. من الصعب أن تكون مقنعًا ما لم تكن مقتنعًا .. لهذا هم يجمعون بين الاقتناع والإقناع ، فلا أعتقد أن أحدهم ينفرد بنفسه خلف الستار ليضحك قليلاً قبل أن يعود لمواجهة الجمهور .. بالنسبة لهم ما يقومون به جم الفائدة .. حقيقة تتأكد لدى كل منهم وهو يجتاز مدخل البنك ليصرف الشيك الخامس فى شهر واحد .. هل هناك شىء أكثر فائدة ؟

هم شرسون جدًا فى الدفاع عما يزعمون ، وهذا قد يصل درجة التوحش أحيانًا .. هذا طبيعى لأنك فى الواقع تحاربهم فى صنعتهم ورزقهم الذى جعلهم نجومًا وحقق لهم كل هذه الأرباح .. جرب أن تطلق الشائعات عن بائع الفول الذى يقف بعربته عند مدخل شارعكم ، وسوف يمزقك أو يدلق قدر الفول فوق رأسك .. وكما قال لى سائق سيارة تاكسى ذات مرة : آل يا واخد قوتى يا ناوى على موتى ..!

طيف هذه الألاعيب واسع ممتد يبدأ بعلاج الالتهاب سى بالحمام ، وينتهى بنشاطات راقية متحذلقة مثل البرمجة اللغوية العصبية .. إنها دائرة شيطانية أخرى تدور كالتالى : الناس تريد معلومات أكثر عن هذه الألعاب الجديدة .. الفضائيات تقدم للناس ما يريدون .. يولد المزيد من النجوم الذين يصير لهم أتباع أكثر .. هؤلاء الأتباع يطلبون المزيد من الألعاب الجديدة ..

-2-

تعليقًا على مقال الأسبوع الماضى ، وصلتنى بعض خطابات تدور حول ذات المنطق تقريبًا ، ومنها هذا الخطاب لصديق لن أذكر اسمه لأننى لم أطلب إذنه فى النشر : « منذ أيام مرض والدى ودخل المستشفى وأجرى قسطرة فى القلب ، وعرفت أن ثمن قسطرة القلب عشرين ألف جنيه وأشعة الرنين المغناطيسى تكلف 450 جنيه وهناك أدوية وحقن سعرها 100 جنيه أو أكثر ، والإقامة ليلة واحدة فى المستشفى تكلف أكثر من 200 جنيه .. هل تعتقد أن من يجرون وراء الأوهام يجرون بخاطرهم ؟! إنهم لم يجدوا شيئًا أفضل وأرخص ليجربوه ، أنا مستعد أن أبلبع كل أنواع الأعشاب إذا مرضت ولم أجد لى علاجا أو كنت لا أملك ثمن العلاج !!! ...... الناس معذورة فى الجرى وراء الطب البديل ، العلاج والدواء والأشعات والعمليات ثمنها غال جدا ، ولا يقدر عليها أكثر الناس .... من لا يجد العلاج أو من لا يملك ثمن العلاج من حقه أن يجرب كل شىء وأى شىء ما لم يكن حرامًا .. »

الحقيقة إننى لا أستطيع أن أرغم نفسى على قبول هذا المنطق .. إذا كان هناك أطباء جشعون بلا رحمة ، وإذا كانت هناك أمراض بلا علاج ، فليس الحل هو أن أجرى فى الاتجاه المعاكس لأنفق القليل الذى أملكه عند أباطرة الطب الزائف الذين لا يملكون ما يقدمون .. كأن المال نوع من الطاقة يجب أن تخرج فى هذا الاتجاه أو ذاك .. لا تعط الأطباء مالك .. أعطنى إياه وضع ثقتك بى ..

وبرغم هذا فإننى لا أرى شيئًا رخيصًا فى هذا كله .. المصابون بداء السكرى ينفقون الكثير فعلاً على علاجات الأعشاب عديمة النفع ، برغم

أن علاج السكر المحترم العلمى ليس باهظًا إلى هذا الحد .. إنهم ينفقون الكثير على العلاج بالحمام والأوزون والأشعة تحت الحمراء .. لكنهم يدفعون هذه الأموال فى رضا تام ويمكن أن يتشاجروا معك لو فتحت فمك معترضًا .. هذا فى رأيى يعود إلى سلوك إنسانى طبيعى ، هو أن الإنسان لا يقبل أن يعترف بأنه قابل للخداع أو إنه خُدع فعلاً ..

يتحدث أباطرة الطب البديل عن الإبر الصينية رابطين بينها وبين ما يروجون له من هراء .. قل لهم إن الإبر الصينية درست دراسة مدققة منذ زيارة نيكسون للصين فى أوائل السبعينات ، وهناك رسائل دكتوراه عليها فى كل مكان بالعالم ، ولسوف تجدها فى مجلات من وزن (لانست) و(بى إم جى) ، وهى جزء مهم من مقرر علم وظائف الأعضاء لدى أى طالب طب .. فقط عندما يقرر بعض الأباطرة أن يزيدوا طيف التكسب ليجعلوها تشفى من سرطان الكبد ومن الالتهاب سى ومن تلف صمامات القلب ، مع الهراء المعتاد الذى لا يمكن إثباته : « الإبر الصينية تزيد المناعة عن طريق تنشيط الخلايا المساعدة (ت) وتزيد إفراز مواد معينة منشطة للمقاومة .. » إلخ .. هنا فقط تسمع النغمة المألوفة وتعرف أن العلم قد صمت ، بينما تكلم المال ..

المريض قد يئس من الطب التقليدى ويريد تجربة أى شيء بأى ثمن .. جميل جدًا .. هذا بالضبط هو الصيد الذى خرج هؤلاء القوم للظفر به .. هذا هو مصدر رزقهم ، ومن ورائه سيبنون العمارات ويركب أولادهم البى إم دابليو ويقتنون شاليهات الساحل الشمالى .. سوف يعيش كل منهم على الفضائيات ، وسوف ينشر كتابًا يبيع مليون نسخة ، وسوف يخصص خطًا هاتفيًا للرد على الاستفسارات .. كل هذا بثمن طبعًا .. ليس هبة ولا تبرعًا ..

يعتمد هؤلاء كذلك على نقطة نفسية مهمة هى ارتفاع نغمة الشك فى الأطباء والتحفز ضدهم فى وسائل الإعلام .. لا يمر يوم من دون أن تقرأ عن الطبيب الفلانى الذى نسى الفوطة فى بطن المريض ، أو سرق كلية مريض ، أو أعطى المريض علاجًا خاطئًا .. هكذا يزداد اليقين لدى المريض أن الأطباء مجموعة من الجهلة الجشعين الذين يسرقون مالك وأعضاءك .. هم دائمًا غير موجودين فى المستشفيات فإذا تواجدوا ارتكبوا الأخطاء المهنية القاتلة .. إذن أين المفر ؟.. المفر الوحيد هو ذلك الأخ الذى يظهر على الفضائيات ويعالج السرطان بالأعشاب ..

مثلاً فى برنامج تلفزيونى جماهيرى منذ عدة أعوام ، ظهر الفنان سمير الاسكندرانى ليحكى قصته مع نوبة ارتفاع ضغط أصابته ، فذهب إلى المستشفى حيث أعطاه الطبيب نوعًا من الكبسولات تحت اللسان ، والنتيجة أنه شعر بصداع مروع مع زغللة عينين واحمرار فى الوجه .. حكى القصة بطريقة درامية مع الكاريزما الفائقة التى يتمتع بها باعتبارها حلقة أخرى من مسلسل إهمال الأطباء وجهلهم .. كل طبيب يعرف أن هذا أثر جانبى معتاد لعقار (نيفيدبن) الذى وضعوه تحت لسانه لإنقاذ الموقف ، وكانت هذه أفضل سياسة طبية (فى ذلك الزمن) .. الصداع وزغللة العينين لا معنى لهما سوى أن العقار بدأ يعمل .. لكن البرنامج قد أعد أصلاً لالتهام سمعة الأطباء والشك فيهم ، ولا يمكن أن يسمح لطبيب بأن يفسد هذه الوليمة ..

كل طبيب يعرف ذلك المريض الذى يقصده فى المستشفى المجانى طالبًا استشارته ، فيفحصه الطبيب ويقضى معه وقتًا طويلاً ثم يكتب له العلاج .. هنا يبرز المريض روشتة أخرى من جيبه ويسأل : « لقد سألت

زميلك الفلانى منذ قليل وكتب لى هـذا .. فما رأيك ؟ .. » هكذا هو يجرب الاستزادة من وقت الأطباء وجهدهم علـى سبيل (الاستخسار) ، ولأنه لا يثق فى كليهما ، وفى الوقت ذاته يحاول أن يجعل اللصين يختلفـان لتظهر البضاعة المسروقة .. نفـس المريض يذهـب فـى سعادة وحماس إلى عيادة طبيب يأخذ مائتى جنيه فى الكشف ، وينفذ كل مـا يطلبـه الطبيب عن طيب خاطر ، لأن ما هو مجانى لا قيمة له ..

هـل المنشفة المنسية فـى الجرح مسئولية الجـراح ؟.. كلنـا حضـر العمليات الجراحية ورأى كيف تبتل هـذه المنشفة بـالدم فلا تختلف عـن الأنسجة البشرية الدامية فى شىء .. هنا يأتى دور ممرضـة العمليـات المسئولة عن عد المناشـف .. يقـول الجـراح للممرضـة فـى نهايـة الجراحـة وقبل أن يخيط الجرح : « عدى فوطك .. » فتعدهـا لتتيقـن مـن أن العـدد الذى معها هو العدد الـذى بـدأتْ بـه الجراحـة .. هنـا فقـط يبـدأ خياطـة الجرح .. عندما تجد منشفة منسية بعد هذا فهل هى مسئولية الجراح الذى يتحمل مائة مسئولية أخرى ، أم هى مسئولية ممرضـة العمليات ؟.. لماذا نتكلـم عـن مسلسـل إهمـال الأطبـاء ، ولا نتكلـم عـن داء الاستسـهال والإهمال لدى الإنسان المصرى ؟

لا أعنى بهذا أن الأطباء مجموعة من الملائكة .. هم جـزء مـن المجتمع يتلف بتلفه .. جربْ أن تتعامل مع موظف فى مجلس المدينة أو الكهرباء أو السجل المدنى أو التعليم الثانوى ، ولتر إن كان يقظ الضمير يقوم بواجبه خير قيام أم لا ؟.. أنتَ تطالب الطبيب بأن يتقاضى مائتى جنيه فى الشـهر ويهش لـك ويبـش ، ولا ينشغل بعيادته ، ويتـابع أحـدث الاكتشـافات العلمية ، ويكون موجودًا متى أردته .. بأمـارة إيه ؟.. بأمارة إن الطب مهنـة إنسانية طبعًا .. وهل هذا يعنى أن الطبيب ليس إنسانًا ذا حاجات ؟..

برغم هذا هناك أمثلة إيجابية لا تنتهى .. كلنا يعرفها .. لكن هذه الأخبار غير مثيرة صحفيًّا من منطلق أن خبر (عض الرجل الكلب) يبيع أفضل من (عض الكلب الرجل) ، وكما يقول (آثر كلارك) : « لابد إن جرائد المدينة الفاضلة مملة جدًا بالتأكيد .. » لكن مسلسل الشك هذا يؤدى بالضرورة إلى رواج الطب البديل وثراء أباطرته ، دعك من أن العلم بطبعه كئيب لا يعد إلا بما يستطيع تحقيقه .. لا توجد خوارق ولا معجزات فى العلم وهذا بالطبع لا يرضى المرضى ..

سوف تنتهى هذه الهوجة ويدرك الجميع أنهم كانوا مخدوعين لكنهم لن يعترفوا بهذا .. فى الوقت ذاته سيكون هؤلاء النصابون الكبار قد وجدوا طريقة أخرى للحصول على الرزق .. ربما النمل المطحون أو براز الفئران العرجاء .. فقط لنجلس أمام الفضائيات وننتظر النصاب القادم ..

-3-

يحكى صديقى أستاذ جراحة العظام عن قريبه المسن المشلول حبيس الفراش منذ أعوام ، وكيف أن ابن الرجل طلب رأى أحد أصدقائه من طلبة الشريعة بصدد عمل حجامة لأبيه ، فقال له : ربنا ييسر إن شاء الله ، وجاء فى اليوم التالى إلى البيت حاملاً موسى وطستًا ، وفى الفراش جثم على صدر العجوز المشلول ليجرى عدة جروح قطعية سخية على جانبى رأسه ، بينما العجوز يعوى ويطلق ما استطاع من صرخات استغاثة من حنجرته المشلولة .. بالطبع تدهور أمر الجروح وطلبوا رأى صديقى أستاذ العظام ..

قال لى صديقى وهو غير مصدق : إذن فى القرن الواحد والعشرين ، ما زال عندنا غير متخصص يمزق عجوزًا مشلولاً بالموسى وهو يجثم على صدره ، بدعوى أن هذا هو الدين الصحيح ..

الحقيقة إن معظم الأطباء لا يسيغون هذه الأنواع من العلاج بحال ، ولديهم تحفظات قوية عليها ، لكنهم يحتفظون بآرائهم سرًا نظرًا للغابة الكثيفة من التقديس التى تحيط بها . من يجادل يهدد بأن يتحول إلى فولتير أو ماركس ، بينما لا أحد يرغب فى بطولة من هذا النوع .. أكثر من طبيب قال لى همسًا إن مرضاه تدهوروا لما شربوا بول الإبل ، وأكثر من واحد قال همسًا إن الحجامة لم تأت بنتيجة ..

أصعب شيء فى العالم أن تقول ما يستفز الجماهير أو يضايقها .. والشيخ القرضاوى يقول فى أحد حواراته إن نفاق العالم للحاكم كريه لكن خطره محدود ، بينما الخطر الحقيقى هو نفاق العالم للناس بأن يقول لهم ما يشتهون سماعه ..

يمكن للمرء ببعض الجهد أن يفند مزاعم المعالجين بالحمام .. عندما يتعلق الأمر بالحجامة وبول الإبل سوف تلقى أسئلة علمية ، لكنك تنزلق إلى المصيدة التى أعدوها لك : لماذا تريد أن تجرب بينما هذه أمور ثابتة فى الطب النبوى ولا جدوى من التجربة ؟.. تقول : بس يا جماعة .. فيقاطعونك : "هل تؤمن بالسُنّة أم لا ؟.. رُدّ !.. » هل فهمت الورطة التى يقودونك إليها ؟.. أنت تؤمن بالسُنة لكنك لا تؤمن أن الحجامة من أركان الدين التى لا يكتمل الإيمان إلا بها .. إن هذه الورطة مصيدة محكمة هى ذات المصيدة التى كانت تبيع صكوك الغفران فى القرون الوسطى ، وأنت تعرف أنك لا تملك الثقافة الشرعية الكافية للرد ، لكنك بالتأكيد تملك الثقافة الطبية ، وهذه الثقافة تقول لك إن هناك خطأ ما .. نحن ننزلق إلى الهاوية بسرعة جنونية ..

وجدت المخرج المنطقى فى مقال للمحارب الشجاع د . خالد منتصر على شبكة الإنترنت ، يقول فيه : « لأن صوت الاجتهاد مغيب فى هذه الأيام فإننا لا نلتفت إلى هذه الآراء الشجاعة ، فمثلاً الشيخ الجليل عبد المنعم النمر فى كتابه العظيم (الاجتهاد) فى صفحتى 38 و 40 يفرق بين السنة الواجب إتباعها والسنة التى لا تثريب على تركها ، فيقول إن ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى الزراعة والطب والطعام وما يحبه الرسول وما يكرهه وكيف يمشى ونومه ولبسه إلى غير ذلك من الأمور العادية ، كل ذلك من النوع الثانى الذى لا يمنع أحدًا من الاجتهاد فيه إذا وجد أنه لم يعد يحقق المصلحة التى أرادها الرسول لتغير الناس والأمكنة .. ونفس المعنى يقوله محمد سليمان الأشقر أستاذ الشريعة بجامعة الكويت ، والقاضى عياض الذى قال فى ترك العمل بالأحاديث

الطبية : ليست فى ذلك محطة ولا نقيصة لأنها أمـور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل بها .. » باختصار (أنتم أعلم بشئون دنياكم) ..

ثـم يقـول د. خـالد منتصـر : « كيـف يعـالج دواء أو إجراء جراحـى المرض ونقيضـه فـى نفس الوقت ؟! ، وكيـف تعـالج الحجامـة السـمنة والنحافة ، والنزف وانقطاع الدم ..... إلخ ؟ »

فى موقع إسلام أون لاين وهـو الموقـع العقلانـى الرصين نقرأ التـالى : « فلا يصح إطلاق القول بأن الحجامة علاج كامل ونهائى لكل الأمراض .. هى فقط وسيلة من وسـائل العلاج يؤخذ بها عنـد الحاجـة ، بـل إن تطبيق الحجامة على أيدى غير مختصين يتيـح الفرصـة لمعـارضى الطب النبوى للدعايـة لهـا بشكـل سلبى بحيث تظهر علـى أنهـا نـوع مـن الدجـل والشعوذة . ويمكن للحجامة أن تنقل العديد من أمراض الدم الخطيرة "

فى الحقيقة لا أقول هنا إننـى ضـد الحجامـة وأبـوال الإبـل .. أنـا ضـد الترويج لهما كعـلاج قبـل عمـل دراسـة مدققـة أمينـة بعيـدة عـن التحيز وتمويل جهات يهمها أن تكون النتيجـة إيجابيـة .. مـن الصعـب أن ترفـض علاجًا لمجرد إنه غريب أو (مقرف) ، ودليلى على هذا وليسمح لى ذوق القارئ أكل الصينيين فى الماضى لبثور المصابين بالجدرى .. طبعًا كان هذا نوعًا من اللقاح كما عرفنا اليوم .. إسهال مرضى الكوليرا فى الهند الذى كان الأصحاء يشـربونه .. نحن الآن نعـرف أنـه يحوى كميـة كبيرة من لاقمات البكتريا **Bacteriophages** التى تلتهم بكتريا الكوليرا الواوية ..

إذن أنا لا أرفض التداوى ببول الإبل .. لكنى كذلك لا أقبلـه قبـل أن تُجرى دراسة مدققـة أمينة ، ويتم مقارنـة من يتعـاطون العـلاج مـع من لا يتعاطون ، ويتم فصل وتوصيف المادة التى تشفى الفيروس سى إن كـان

لها وجود .. لكن لا ترفض العلاج قبل التجريب ، ولا تقبله قبل التجريب .. فى الحالتين أنت تقع فى فخ الانغلاق الفكرى والأحكام المسبقة Prejudices ..

النقطة الأخرى المهمة هى الحياد العلمى .. هل يمكن أن يُجرى فى دولة عربية بحث علمى تكون خلاصته : لم يتبين أن للحجامة دورًا فى علاج مرض السكر ، أو تبين أن المجموعة التى تعاطت بول الإبل تدهورت ؟.. مستحيل .. أنت تجرى التجربة لتثبت كم هى ناجحة ، والمجلات الطبية الخليجية تعج بأبحاث من هذا القبيل .. الجهات العلمية الأكثر صدقًا تصمت ولا تعلن نتائجها ، وإننى لأذكر هوجة الأعشاب التى سادت فى التسعينات لعلاج التهاب الكبد سى ، وقيل إن جهات بحثية مهمة تجرى دراسة مدققة تُعلن فى يونيو القادم .. يومها قال لنا د. (حلمى أباظة) أستاذ أمراض الكبد الشهير : "أراهن أن يونيو بتاعهم ده مش جاى أبدًا . ! .. » والحقيقة أن نتائج الدراسة لم تُعلن منذ يونيو 1995 حتى هذه اللحظة فعلاً ..

لكن النصابين الكبار لا ينتظرون كلمة العلم .. ها هو ذا بيزنس الحجامة وبيزنس أبوال الإبل يجتاح كل شىء .. كالعادة لا يوجد شىء مجانى .. هناك كتب عن الحجامة وأفلام فيديو تشرح أساليب الحجامة ، وهناك أجهزة للحجامة المنزلية .. و .. و ..

تقرأ عن الحجامة أخبارًا مثل أن 38 ولاية فى أمريكا تمارس العلاج بالحجامة بشكل رسمى ، وأن مايو كلينيك تبنتها ، وأن هناك مجلات أمريكية وألمانية صدرت مخصصة لها فقط ، وأن الأسرة المالكة فى بريطانيا طلبت من فريق طبى سورى معالجة بعض أفرادها م[illegible] الهيموفليا

الوراثى .. ألا تشم رائحة راسبوتين فى هذا الخبر ؟.. وحتى لو صح فمن قال إن الطب البديل ليس لـه زبائن فى الغرب ؟.. إنهم يثقون فى أى شىء يأتى من الشرق باعتباره منبع الحكمة .. دعك من أن الحجامة فعلاً لها تطبيقات مهمة فى بعض فروع الطب ، لكنها ليست علاجًا لكل شىء كما يزعم هؤلاء ، وبالتأكيد هى الطريقة المثلى لقتل مريض الهيموفيليا ..

من أهم الأخطار استقطاب عدد من الأطباء بل أساتذة الطب الذى لا يهتمون بالطريقة العلمية ، لكنهم يعملون كفقهاء السلطان لتحليل هذه الأنماط غير العلمية من العلاج ، وعندما يقول طبيب إن مجلة أمريكية تصدر للحجامة فأنت تجد صعوبة فى التكذيب .. لكنى جربت البحث المضنى فى شبكة الإنترنت والمجلات الطبية الكبرى عن رأى الغرب فى الحجامة ، فلم أجد لها ذكرًا إلا فى موسوعة ويكيبيديا .. الموسوعة نشرت المقال بعنوان **Hejama** لأن هناك من أرسله لها ، وصنفته ضمن المقالات الضعيفة التى تحتاج إلى أسانيد ومراجع !.. إذن أين مايو كلينيك وأين المجلات المخصصة للحجامة و ..و ... ؟..

ينقسم هؤلاء الأطباء المحللين إلى المنتفعين وحسنى النية والمرضى النفسيين لكنهم جميعا تكاتفوا لمحاربة عقل هذه الأمة .. النوع الأخير معروف جدًا .. تعرفه من تعصبه وضيق خلقه والنظرات المجنونة التى يطلقها من وراء نظارته ، واللعاب الذى يتطاير من فمه عندما يناقشه أحد .. هذا مزيج عبقرى من النصب والجنون ، وأفضل أنواع النصب هو ما جاء من مجنون لأنه يشع طاقة نفسية هائلة تقنع العامة ..

من بين هؤلاء الأطباء الذين يلقون الكلام على عواهنه هذا الطبيب

الذى التقت به جريدة معارضة مهمة ، وأفردت له صفحتين يلقى فيهما قنبلته : الإيدز لا وجود له . أمريكا هى التى اخترعت هذه الأكذوبة لتنشر الشذوذ الجنسى ! ومنهم من يقابل كبار الصحفيين ليؤكد أنه لا وجود للفيروس سى .. هذه مؤامرة من شركات الأدوية ، لكنه مستعد ليغير كلامه على الفور ليروج لأعشاب تعالج ذات الداء الذى لا وجود له .. هل تلوم العامة إذا صدقوا هذا بعد ما قاله طبيب ؟..

هؤلاء القوم جميعًا هم أعداء الإسلام وأخطر عليه ألف مرة من جيوش المغول .. لا يبالون بحيرة الأجيال القادمة ، ولا التضليل والشك ، ولا همهم أن يقول أحد فى نفسه : لقد جربت الطب النبوى ففشل .. يفضلون أن يقول الناس هذا ما دامت حساباتهم فى المصارف تتكوم ..

وبينما العالم ينهض ويمشى حثيثًا ويعدو ويثب ، يجلسون جوار جدار ويقولون فى عناد كالأطفال : وإيه يعنى ؟.. نحن كنا نعرف هذه الأمور منذ 1400 عام .. .

أمس صارت ماليزيا أفضل منا واليوم صارت إيران أفضل منا .. غدا تصير الكونغو أفضل منا وسندعو الله أن نلحق بها ، ونقيم المؤتمرات لفهم كيف حدث هذا .. اتقوا الله فى هذه الأمة قليلاً ..

كليوباترا هى وفاء

بقلم د . أحمد خالد توفيق

aktowfik@hotmail.com

أرسل لى أحد الشباب هذا الإعلان عن كتاب جديد فى السوق ، وهو كتاب يصفه الإعلان بأنه (مفاجأة القرن 21) ، ويؤكد أنه مصرح به من الأزهر ووزارة الإعلام السعودى ورابطة العالم الإسلامى . يعدنا الكتاب بأن يثبت لنا بالأدلة الشرعية ما يلى :

ـ الأرض ثابتة لا تدور حول نفسها ولا الشمس .

ـ السماء تبعد عن الأرض 7 ملايين كيلومتر فقط .

ـ الأرض أكبر من الشمس والقمر معًا .

ـ سرعة الضوء = سرعة الصوت .

ـ الشمس تجرى حول الأرض يوميًا .

ـ أكذوبة عشنا فيها حينًا من الدهر اسمها الجاذبية الأرضية .

ـ الأعرابى الذى كان أعلم من جاجارين أول رائد فضاء .

ـ النجوم عددها محدود وقريبة جدًا من الأرض .

ـ الشمس تبعد عن الأرض 687272 كيلومترًا فقط .

ـ الأرض ليست كوكبًا .

ـ الجبال لم تتكون من الأرض بل أتت من فوقها .

سعر الكتاب ثلاثون جنيهًا فى مجلد يمكننى أن أرى غلافه الأنيق المصبوغ بماء الذهب . يقول الإعلان إنها الطبعة التاسعة . طبعًا يمكننى أن أعرف أنه حقق نجاحًا ماديًا هائلاً .. إنه لمغر جدًا أن تقرأ كتابًا كهذا ، ولو وجدته أمامي لابتعته بلا تردد .

يجب أن يكون المرء عادلاً .. بالطبع أنا لم أر الكتاب ولم أقرأه لهذا لن أعتمد على إعلان عنه ، وبالتالى لا أضمن أن موافقة الأزهر عليه صحيحة بصورته المذكورة فى الإعلان . أحب أن أعتقد هذا .. لو صح الكلام المذكور فى الإعلان لكانت ضربة قوية لعلمى الفلك والفيزياء ونظرية النسبية وميكانيكا الكم ، فهذا المؤلف قد استطاع أن يسحق نيوتن وأينشتاين وكوبرنيكوس وإنريكو فيرمي وتايكوبراه وجاليليو وهوكنج بضربة ساحقة ماحقة ، دون أن يدرس حرفًا من علم الفيزياء .

يقابل المرء طيلة يومه أمثلة مشابهة ، وليس هذا الكلام غريبًا على مسامعنا على كل حال . لكن الاستفزاز يبلغ أحيانًا درجات لا تطاق تجعلك تتساءل : ما جدوى الكتابة إذا ظللت صامتًا الآن ؟

مثلاً .. اعتدنا سماع ادعاء اليهود أنهم هم بناة الأهرام تحت قهر الفراعنة ، ثم غادروا مصر وتركوها لنا هدية . بعد هذا جاء أنيس منصور ليطرح فكرة أن الأهرام جاءت من الفضاء .. هناك مشكلة لدى العالم كله هى أن يأخذ الأهرام منا وخلاص .. بأى تفسير ممكن .. يجب أن نؤمن أن الأهرام لم يبنها الفتى الأسمر مفتول العضلات (حور) الذى هو جد (محمود) وعم (مينا) اللذين يقفان الآن فى طابور الخبز فى شبرا ..

الآن يتطوع باحث مصرى بدور مشابه ، فيزعم نظرية فريدة من النظريات التى تنهمر علينا كل يوم ، وقد انطلق من نقطة ذكية هى أن

الأهرام مفرطة فى الضخامة هكذا يصل إلى نظريته التى تؤكد أن الأهرام لم ينها اليهود ولا الفضائيون ولا الفراعنة ! . عنوان الكتاب الذى صدر عام 1996 يستحق وقفة : (الفراعنة لصوص حضارة)! .. وهو يعتمد على منطق بسيط .. الأهرام ضخمة ولا نعرف طريقة بنائها ، إذن من بناها عمالقة لهذا كان الأمر سهلاً كأنهم يضعون علب كبريت فوق بعضها .. انتهى البحث ! . تأمل هذه الجملة المنطقية القوية : فمن جهة العقل لا يوجد ما يدل على كون بناة الأهرام هم الفراعنة ، بل الأنسب أن يكون بناته قوم عاد الذين أعطاهم الله عز وجل القوة و زادهم فى الخلق بسطة منطق غريب .. ما دام البناء ضخما فمن صنعه هو الأضخم وقت صنعه . هناك صور كثيرة جدًا ملفقة ببرنامج فوتوشوب لهياكل عمالقة وعامل صعيدى يحفر ليظهر هيكل عملاق تحت الرمال . عندما يكون طول العملاق من قوم عاد 15 مترًا فإن حمل هذه الأحجار سهل جدًا .. طبعًا الحكومة المصرية تخفى هذه الحقائق . لا أدرى ما المنطق القوى هنا ؟.. هناك آثار ضخمة وألغاز غامضة فى الكون كله . وماذا عن أهرام المكسيك الغريبة يا أخى ؟.. من بناها ؟ ألم ير المنمنمات الدقيقة التى توشك ألا تراها بالعين المجردة فى المتحف المصرى ؟ هل سيتطوع بنظرية أخرى تؤكد أن شعبًا من الأقزام فعل ذلك ؟

قوم عاد الأولى فى رأى الباحث هم بناة الأهرام .. بنى قومهم مدينة إرم ذات العماد بالأحقاف .. .. ويتساءل : لماذا لم نجد مقابر وآثارًا لقوم عاد ؟.. لأن الأهرام هى آثارهم ، وتعبير (إرم ذات العماد) القرآنى يقصد به (الأهرام المدببة) لأن القبائل العربية كانت تحيل حرف الهاء همزة .. معلوماتى أن الأحقاف فى الجزيرة العربية ؛ فماذا جاء بها هنا ؟

الحقيقة الثانية كما يقول هى أن الفراعنة هكسوس جاءوا من شمال الجزيرة العربية ، وهم من العماليق بقايا عصر ثمود .. والخلاصة أن الحضارة الفرعونية جاءت من الجزيرة العربية ، بينما المصرى العادى كان غلبان جاهلاً نحيلاً مذعورًا يعيش فى بيوت من طين ..

الكتاب يحوى حقائق لا يتسع المجال لذكرها بالتفصيل ، لكن من بينها أنه لا يوجد شىء اسمه التحنيط .. لا توجد ديناصورات وإنما هى خدعة كبرى .. « هى عظام حيوانات قوم عاد العمالقة مدفونة منذ 70 ألف عام ، وحتى لا ينتبه الناس إلى تلك الحقيقة الجلية فقد صوروا أشكال (هكذا فى الأصل) لديناصورات مخيفة على العظام من وحيهم ونسج خيالهم وادعوا أنها عاشت منذ 65 مليون سنة ليلهوا الناس » . والدليل الذى لا يدحض لديه هو : هل يتصور أحد أن تظل العظام 65 مليون سنة ؟ الفراعنة كانوا يتحدثون باللغة العربية ولكن يكتبونها بحروف الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية ، وقد أثبت العديد من أساتذة اللغة العربية أن كليوباترا تعنى فى الأصل وفاء ، وأن آمون يعنى آمين ، ورع يعنى رأى . وإخفاء تلك الحقيقة عنا ليس سببه إخفاء أصل أن مصر هى أصل العرب فحسب ، بل لإخفاء حقيقة أن التوراة نزلت باللغة العربية !!

منذ البداية هناك حول الموضوع صبغة دينية تهدد بخراب بيتك لو أنكرته .. قوم عاد ذكروا فى القرآن إذن إنكار قوم عاد إنكار للقرآن .. هذا صحيح ، لكن هنا تأتى الحيلة المعروفة : مزج ما هو مقدس بما هو رأى المؤلف .. هل لو أنكرت أن قوم عاد بنوا الأهرام تكون قد أنكرت وجودهم ؟ بنفس الطريقة أنفق العرب المليارات على من يخرجون الجان من أجسادهم .. هل إنكار تلبس الجان للإنسان إنكار لوجود الجان ؟.. هكذا يمكن أن يمر كل شىء وأى شىء ..

ثم يلعب على الوتر الذى لا يفشل أبدًا : « وأكثر ما يُصرِّح به الآثاريون تتم معالجته سياسيًا قبل طرحه إعلاميًا . فعلوم الآثار قد صادرها الغرب مصادرة تامَّة و استغلّها سياسيًا .. »

بوضوح يتهم الباحث مقدمًا من يزعم أن الفراعنة بنوا الأهرام بأنه من عملاء اليهودية فى مصرا .. راجع المنطق المضطرب من جديد .. مثل منطق الطبيب الذى قال إن الإيدز لا وجود له وهو خدعة ألفتها أمريكا لنشر الشذوذ ..! كيف يمكن نشر الشذوذ باختراع داء والزعم أنه ينتقل بالشذوذ ؟..

النظرية لها شعبية قوية جدًا على شبكة الإنترنت والناس تقبلها كحقيقة مسلمة مذهلة أخرى ، وهناك قارئة قالت فى دهشة : « بالضبط مثل خدعة ناسا عندما زعمت أنهم نزلوا على القمر ! » . والكارثة الألعن هى هذا الرد فى أحد المنتديات : « هو بجد الكلام ده حقيقى ؟ أنا أصلا فى كلية آثار بجد الكلام ده مضبوط أنا هتجنن أنا خلاص آخر سنة ليا فى الجامعة يعنى الكلام اللى أنا بدرسه ده ملوش أى لازمة بالله عليك ترد عليا » . هذا طالب فى آخر سنة بكلية الآثار ، وهو يشك فى كل ما درسه من قبل بسبب هذا الكلام .

نحن نتراجع بلا توقف .. هل كان أحد يجرؤ على كتابة هذا الكلام منذ عشرين عامًا ؟ اليوم يكتبونه ويبيعونه ويجدون من يقرأه فى حماس باعتبار هذا هو (العلم كله) .. أليس هذا بالضبط مناخ القرون الوسطى ومحاكم التفتيش وإعدام تايكوبراه والتهديد بحرق جاليليو ؟.. الاعتراض على هذا الهراء يهدد بأن تتحول إلى فولتير .. سيقولون : (هذا الكاتب

يطالب بالعلمانية وإلغاء الدين كما فعلت أوروبا) .. يقولونها وهم ذاهبون للمصرف لإيداع حصيلة بيع الكتاب الأخير وصرف شيكات الفضائيات . بينما صمتك على هذا الكلام هو كتمان شهادة الحق فعلاً .. والآن تصور معي النتيجة بعد عشرين عامًا وماذا نتوقع من شعب لا يقرأ سوى هذا الكلام ، وقد عشش الصدأ وخيوط العناكب في رأسه . تخيل معي !

عن العلم وشبه العلم

كتاب أنيق هو يحمل ذات الطابع (ابن الناس) الموحى بالثقة لدار المعارف ، تلك التى بدأنا القراءة مع سلسلتها (كل شىء عن) .. . سلسلة علمية صدرت فى الزمن الجميل كتبها عالم أمريكى محترم وترجمها عالم مصرى محترم ، والتى لم أندهش عندما وجدت أن عدد طبعات أجزاء منها تجاوز التسع ، ثم كبرنا فعرفنا سلسلة (اقرأ) التى قدمت لنا المعلومة والأدب الراقي . لهذا كان لى الحق كل الحق أن أتحمس لشراء هذا الكتاب الذى يحمل اسم (أسرار الوحوش الخفية والإنسان العملاق 1999) للدكتور (على على السكرى) وهو من المهتمين بمفهوم العلم من الناحية الإسلامية كما تدل على ذلك مؤلفاته السابقة.

الصورة على الغلاف لديناصورات تتصارع ، وهى منسوخة من غلاف سلسلة أخرى هى (الكتب العلمية المبسطة) ، وبرغم هذا هناك اسم لمصمم الغلاف .. أما عن محتوى الكتاب نفسه فيلخصه المؤلف فى المقدمة بقوله : (الغرض من هذا الكتاب إثبات وجود الديناصور والرخ والصناجة والتنين وغيرها) .. تبدو العبارة غريبة طموحًا لكن لا توجد أحكام مسبقة فى العلم . المهم هى طريقته العلمية فى إثبات ذلك . يقول إنه اعتمد على كتابات القدماء مثل القزوينى والدمشقى وسواهم . ويقول (الواقع أن ما حكاه هؤلاء ليس أساطير لأنها رؤيت رؤية العين وتم التعرف عليها وقياس أبعادها) .

ثم يحدد الدكتور منهجه العلمي منذ البداية : « يقول العقاد فى كتابه (الإنسان فى القرآن) : لعل الكشوف الكثيرة قد أقنعت أكثر الباحثين

بأن الرفض بغير برهان أضر بالبحث من القبول بغير برهان .. » . طبعًا العقاد يتكلم عن القرآن الكريم وهو حالة خاصة جدًا ، وقد استخدم الدكتور هذه العبارة ببراعة ليوحى بأن من يرفض مقولاته العلمية يمكن أن يرفض أشياء أخرى أكثر قداسة . لكن ما علاقة كلام العقاد بقصص حكاها القزوينى والدمشقى ؟.. لقد رسم البحارة فى القرون الوسطى رجالاً فى الهند لهم قدم واحدة يتواثبون عليها ويرفعونها فى المطر لتحميهم ، ووصفوا قومًا لهم رءوس كلاب يعيشون حول دلتا الجانج ، ووصفوا ناسًا بلا رءوس عيونهم فى صدورهم يعيشون فى إفريقيا ، مع عمالقة لهم آذان عملاقة يمكن أن يتغطوا بها كالبطانية عند النوم .. كل هذا معروف وموثق وهناك خرائط كاملة عليها هذه الرسوم . بمنطق الدكتور يجب على أن أنفى وجود هذه الكائنات وإلا فهى موجودة .. منطق غريب جدًا .. المفترض أن البينة على من ادعى .. وهو ذات منطق الولايات المتحدة فى بدء الحرب على العراق : على صدام أن يثبت أنه لا يملك أسلحة دمار شامل .. طيب لماذا لا تثبتون أنتم أنها عنده ؟

ينتقل الدكتور إلى مقدمة علمية رصينة جدًا عن الديناصور يختمها بالسؤال : هل اندثر الديناصور حقًا ؟.. ثم يختمها بمقتطف من كلمات الإمام القزوينى يحكى عن ظهور تنين عظيم فى حلب عام 1226 ميلادية و426 هجرية ، ويخرج من فمه نارًا تحرق الشجر والنبات . فاستغاث الناس بالله تعالى فأرسل سحابة حملته . يحلل الدكتور المعطيات بدقة ليصل إلى أن هذه الصفات تنطبق على ديناصور .. هكذا توصل الدكتور إلى وجود ديناصورات حية فى حلب عام 1226 م ، ومعنى هذا أن الديناصورات لم تنقرض مع نهاية العصر الطباشيرى منذ سبعين مليون

سنة . كل هذا التراث العلمى الجيولوجى والباليو إيكولوجى يهدمه الدكتور بضربة لازب ، والسؤال هنا هو ماذا كان هذا الديناصور يعمل طيلة سبعين مليون سنة فلم يظهر إلا فى ذلك العصر ؟.. لماذا لم يحك عنه مؤرخ آخر ؟.. أين آثاره ؟.. لكنى لست متعصبًا يا سيدى .. لو أتيت لى من (حلب) بعظام ديناصور يثبت الكربون المشع أنها تمت للقرن الثالث عشر فلسوف أصدقك وأنحنى احترامًا لك والقزوينى معًا .

ثم ينتقل الدكتور إلى هدم نظرية فناء الديناصورات مستخدمًا كلامًا علميًا موثقًا .. هكذا تبتلع أنت شبه العلم وسط العلم الحقيقى ، على طريقة قشر البطيخ الذى يقلونه مع السمك فى الموالد ، من ثم يأكل الطاعمون هذا الخليط على أنه سمك.

لكن وحوش الدكتور لا تكف عن الظهور مما يوحى بأن العالم العربى فى العصرين الأموى والعباسى كان حديقة ديناصورات تتحدى حديقة (مايكل كرايتون) .. تنين آخر يظهر فى نابلس يبدو من وصفه أنه فيل عملاق من نوع الماموث .. وقد كسر الأهالى نابه لذا سموه بلدتهم (نابلس) أى (ناب بدون) ، على الطريقة الإنجليزية فى إلصاق less بنهاية الكلمات بمعنى (بلا)..

ثم يقتطف مقالاً علميًا يحكى عن احتمال وجود أفيال عملاقة فى أصقاع سيبيريا .. هذا ممكن يا دكتور فى الأماكن غير المطروقة .. هناك ألغاز كثيرة على وجه الأرض ، وهناك وحوش عديدة لم نرها من قبل ، بل لا أستبعد وجود ديناصورات لم تنقرض بعد ، لكن لا تقل لى إن هذا الماموث قد ظهر فى نابلس فلم يره ويحك عنه إلا القزوينى . هناك كتب

كاملة عن رجل الثلوج المخيف (الياتى) و(الساسكواش) لكن العلم لا ينظر لهذه الأمور بجدية ما لم يجد رجل جليد كاملاً ويشرحه ويعرف كل شىء عنه ، ولم يتخذها ذريعة لإصدار كتاب يؤكد أن الإنسان أصله قرد مثلاً .

الآن ننتقل إلى حيوان الصناجة ، الذى ليس هناك حيوان أكبر منه والذى عاش فى أرض التبت ، والذى ما إن ينظر لحيوان آخر حتى يموت الحيوان ، وإذا رآه حيوان آخر مات الصناجة . تصور هذا !.. حيوان حياته تتوقف على ألا يراه حيوان آخر !.. طيب وعايش إزاى ؟.. وكيف يبحث عن رزقه ؟.. هنا يرى الدكتور أن الكلام دليل قاطع على وجود ديناصور فى التبت ..

هناك قصة أخرى حكاها (ابن أثير) عن الطائر الضخم الذى ظهر بعمان عام 985 م ووقف على تل وصاح بلسان فصيح : قد قرب .. قد قرب .. ثم غاص فى البحر .. هذه القصة يأخذها الدكتور كحقيقة لا شك فيها على وجود ديناصورات مجنحة منذ ألف سنة ثم انقرضت .. طيب من قال إنها انقرضت ؟.. ربما هى ما زالت بيننا تبعًا لمنطقك ؟.. أثبت لى أنها غير موجودة ..

هناك فصل كامل عن الرخ ، وفصل كامل عن الناس الذين هم مشقوقون إلى نصف إنسان لأنهم من نسل النسناس (ابن أميم بن لاوذ) ، لكنهم يتكلمون ويقولون الشعر .. وهناك نساء بثدى واحد فى جزر البحر الهندى وهى صفة تورث كما هو واضح .. وبعد كل قصة يقول : « هذه القصة تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك على وجود كذا وكذا .... »

ثم ينتهى الكتاب بمجموعة هائلة من المراجع ..

لماذا اهتممت بهذا الكتاب ومثلـه بالآلاف ؟.. السبب أنـه لا ينتمى لتلك الكتب الصفر الرخيصة ، فناشره دار محترمة أثق بكل ما تنشره ، ومؤلفه رجل علم قد بحث بحثًا مرهقًا بلا شك . من هنا مكمن الخطر لأنـه كتاب يجيد التخفى فى صورة كتاب علم . لقد بذل المؤلف كل هذا الجهد ليبرهن لنا على أن كل حرف قاله الأقدمون صحيح .. قد أقبل هذا بالنسبة لتفسير دينى أو فقهى ، لكنى لا أقبله بالنسبة لحقائق علمية تتعلق بالرخ والتنين الذى ظهر فى حلب فى القرن الثالث عشر .. خاصة إذا استخدم مؤلفه كل حجة علمية يملكها لإثبات أن هذا صحيح . على طريقة (سرعة الصوت هى ثلث كيلومتر فى الثانية .. وهذا يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن أبو رجل مسلوخة وجد فى عصور تاريخية معينة) .. هذا يعطى القارئ ثقة بالكلام .. من المؤكد أنه كلام محترم مادام يقول (سرعة الصوت) وما إلى ذلك ..

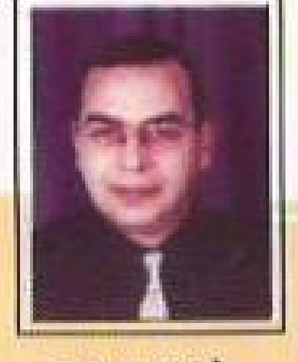
المشكلة أن هذا بالنسبة لأكثرنا هذا هو العلم ولا علم سواه ..

فى فيلم الأب الروحى مشهد يمسك فيه بابا الفاتيكان بقطعة حجر مبتلة فيهشمها ، ويقول لآل باشينو : « هذا الحجر مثل أوروبا .. مبتل بالماء من الخارج لكن الماء لم يبلغ قلبه .. هكذا أوروبا لم تبلغ المسيحية منها موضع القلب برغم كل هذه القرون .. » نحن كذلك عندنا شهادات عالية جدًا ولدينا أبحاث تحمل أسماء براقة .. لكن التفكير العلمى المنطق الذى أهداه لأوروبا ديكارت وكانط بلل عقولنا من الخارج لكنه لم يبلغها قط من الداخل .

أدبيات

نبع الأدب والثقافة المعاصرة

سلسلة 1
مقالات



د. أحمد خالد توفيق

www.Rewayat2.com

لعلك قرأت بعض هذه المقالات ، ولعلك قرأتها كلها . لكن اجتماعها فى كتاب واحد يعطيك نظرة أشمل ، وأعمق .

قد يروق لك هذا الكتاب ، وقد يبرهن على أننى حسن الظن فى نفسى أكثر من اللازم ، ولكنى فى جميع الأحوال أعدك بشىء واحد ؛ هذه مقالات صادقة تمامًا ؛ لم أكتبها طلبًا للمادة ، أو نفاقًا لمسئول ، أو دفاعًا عن جهة ما ..

عندما حاول بعض المحيطين بعبد الناصر أن يوغروا صدره على العظيم (أحمد بهاء الدين) ، قال لهم : اتركوه ؛ نحن راقبناه ، وندرك أنه لا علاقة له بأحد .. هذا رجل (دماغه كده) ..

(دماغى كده) .. عنوان مناسب جدًا لهذه المقالات .. فقط هناك شخص واحد كتبت وهو فى ذهنى ، ويهمنى بالطبع رضاه والفوز باحترامه - إن لم يكن بحبه - ، ويغرينى بممارسة تلك اللعبة المعقدة ؛ بين قول ما أريد قوله ، وكتابة ما يريد قراءته ؛ فلا أتورط فى أسلوب (ما يطلبه المستمعون) ، أو أمارس الاستفزاز المجانى لمجرد التميز .. وهذا الشخص هو القادر على جعلى أتردد ، أو أراجع دماغى هذه .. وهو الوحيد الذى أدين له بكل شىء ؛ القارئ .





الثمن فى مصر 10 جنيهات
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم